الفصل السادس

الصوفية

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الأول

التصوف الحق

نظرات فى التصوف الإسلامى

١) تعريف بالتصوف الإسلامى السنى

مفهوم التصوف : تدور تعريفات حول المسائل والمقاصد الأخلاقية السلوكية الإسلامية التي تعد المكّون الثالث للدين الحق « الإحسان » : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[١] فمن أقوال آئمة التصوف الإسلامي :

التصوف : الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى (أبو محمد الجريرى)

التصوف : خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء (أبو بكر الكتانى)

التصوف : صفا ومشاهدة .

التصوف : طرح النفس فى العبودية ، والخروج من البشرية ، والنظر إلى الحق بالكلية (جعفر الخلدى)

التصوف : بدؤه معرفة الله ونهاية توحيده (الشبلى)

الصوفية : عبّادها يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى الله – عز

(١) الموسوعة الميسرة . طبعة الرياض – بتصرف – .

وجل – بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد أو الاستدلال .

الصوفى : من صفى رّبُه قلبه نورا ، ومن دخل فى عين اللذة بـذكر الله – تعـالى – (أبو سعيد الخراز) .

أما اصل الكلمة والاشتقاق من الصوف ، ومن الصّفة بمسـجد سيدنا محمـد رسول الله – ﷺ – أو الصف الأول ، فكلها افتراضات وتأويلات لا يسلم بهـا ولا يتفق عليها .

أولاً : أصول التصوف :

• يعتقدون بأن الدين شريعة وحقيقة ، والشريعة هى الظاهر مـن الـدين وأنهـا الباب الذي يدخل منه الجميـع ، والحقيقـة هـى البـاطن الـذى لا يصـل إليـه إلا المصطفون الأخيار .

• التصوف فى نظرهم طريقة وحقيقة معاً .

• لابد فى التصوف من التأثير الروحى الذى لا يأتى إلا بواسطة الشـيخ الـذى أخذ الطريقة عن شيخه .

• لابد من الذكر والتأمـل الروحـى وتركيـز الـذهن فى المـلأ الأعـلى وأعـلى الدرجات لديهم هى درجة الولى .

• ضرورة الإلتزام بما أمر به الشرع :

• يقول سهل التسترى « أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتـاب ، والاقتـداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصـى ، ولـزوم التوبـة ، وأداء الحقوق »

• يقول أبو الحسن الشاذلى : « إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف » .

• ويقول الشاذلى كذلك : « إذا لم يواظب الفقير (أى الصوفى) على حضور الصلوات الخمس فى الجماعة فلا تعبأ به » .

• يقول أبو يزيد البسطامى : « لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة » .

• ويقول كذلك : « لو أن رجلاً بسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى » .

• يقول الغزالى : « لو رأيت إنساناً يطير فى الهواء ويمشى على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان » .

• يرى الغزالى بأن العقل وحده لا يكفى لأن يكون وسيلة للمعرفة وأنه لابد من وجود طور آخر وراء طور العقل تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الإنسان الغيب وما يكون فى المستقبل ، وهذا لا يأتى إلا لمن كان لديه إيمان العارفين المشاهد بنور اليقين ، وقد استدل على ذلك بعجائب الرؤيا الصادقة وأخبار النبى - ﷺ - عن الغيب وأمور المستقبل .

• يتحدث الصوفيون عن العلم اللدنى الذى يكون فى نظرهم لأهل النبوة والولاية كما كان ذلك للخضر عليه السلام حيث أخبر الله تعالى عن ذلك فقال : «وعلّمناه من لدنا علماً » .

• الفناء : يعتبر أبو يزيد البسطامى أول داعية فى الإسلام إلى هذه الفكرة وقد نقلها عن شيخه أبى على السندى حيث الاستهلاك فى الله بالكلية ، وحيث يختفى نهائياً عن شعور العبد بذاته ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله ويقول القشيرى : « من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً يقال : إنه فنى عن الخلق وبقى مع الحق » وأعلى درجات

الفناء يسمونها (مقام جمع الجمع) وهو « فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق » .

- إن مقام الفناء حالة تتراوح فيه تصورات السالك .

ثانياً : درجات السلوك :

- هناك فرق بين الصوفى والعابد والزاهد إذ إن لكل واحداً منهم أسلوباً ومنهجاً وهدفاً.

- **المقامات** « هى المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثانى» ولابد للانتقال من جهاد وتزكية.

- **الأحوال**: «إنها النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة ثم تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنسم أريجه». قال الجنيد « : الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم».

- **الأحوال مواهب والمقامات مكاسب**، ويعبرون عن ذلك بقولهم: «الأحوال تأتى من عين الجود، والمقامات تحل ببذل المجهود».

- أول درجات السلوك حب الله ورسوله، ودليله الإقتداء برسول الله - ﷺ -.

- **الأسوة الحسنة**: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

- **التوبة**: وذلك بالإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، وبالعزم على أن لا يعود إليها، وإبراء صاحبها إن كانت تعلق بآدمى.

- **الورع**: أن يترك السائل كل ما فيه شبهة، وهو يكون في الحديث والقلب والعمل.

- **الزهد**: وهو يعنى أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله، يقول أحدهم عن زاهد، «صدق فلان، هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده

وعلى ظاهره». قد يكون الإنسان غنياً وزاهداً في ذات الوقت إذ أن الزهد لا يعنى الفقر، فليس كل فقير زاهداً وليس كل زاهد فقيراً.

• **التوكل**: يقولون التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية إن كان للثقة في الله نهاية، ويقول سهل التسترى: «التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد».

• **المحبة**: يقول الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): «فعلامة المحبة الموافقة للمحبوب والتجارى مع طرقاته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والهرب من كل ما لا يعنيه على مذهبه».

• **الرضا** :يقول أحدهم: الرضا بالله الأعظم وجنة الدنيا ، وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل» . ويقول آخر: «الرضا آخر المقامات ثم يقتفى من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال.

ثالثاً : مدارس الصوفية :

• **مدرسة الزهد**: وأصحابها: من النساك والزهاد والعباد والبكائين، ومن أفرادها رابعة العدوية وإبراهيم بن أدهم وسفيان الثورى.

• **مدرسة الكشف والمعرفة**: وهى تقوم على اعتبار أن المنطق العقلى وحده لا يكفى في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب، وزعيم هذه المدرسة الإمام أبو حامد الغزالى .

رابعاً : أعلام الصوفية :

١. **القشيرى**: وهو صاحب الرسالة القشيرية يقول: (الورع ترك الشبهات)

- ومن شخصياتهم المشهورة **رابعة العدوية** المتوفاة سنة ١٣٥هـ أو ١٨٠هـ أو ١٨٥هـ وقد جمعت بين الزهد والحب أو ما يسمونه بالعشق الإلهى ـ كما أنها ساهمت في إثراء الأدب الصوفى.

٢. وكذلك **سفيان الثورى** (٩٧-١٦١هـ) من العلماء الزهاد، يقول: (الزهد في الدنيا هو قصر الأمل، وليس بأكل الخشن ولا بلبس العباء)

٣. ومنهم **إبراهيم بن أدهم** (ت ١٦١هـ) حيث إنه ترك الملك والسلطان وأقبل على الزهد والتصوف.

٤. **أبو يزيد البسطامى** (ت٢٣٤هـ أو ٢٦١هـ) كان جده مجوسياً وأبوه من أتباع زرداشت، روى بأنه ذهب إلى رجل مقصود مشهور بالزهد فشاهده يرمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف عنه ولم يسلم عليه قائلاً: (هذا غير مأمون على أدب من الآداب فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه.(آداب رسول الله) ؟

٥. أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩هـ) ، ونشأ في واسط بالعراق وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمى بالكفر وقتل مصلوباً لتهم أربع وجهت إليه:

- لاتصاله بالقرامطة، لقوله (أنا الحق) ، لاعتقاد أتباعه بألوهيته.

قوله في الحج حيث يرى بأن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

٦. **ذو النون المصرى** (ت٢٤٥هـ) من مدرسة الزهد، ينحدر من أصل قبطى أو نوبى هو أول من مهد لظهور مذهب المعرفة في التصوف حيث يقول: (عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى) .

٧. **أبو القاسم الجنيد** (ت ٢٩٧هـ) أصله من نهاوند، ولد ونشأ بالعراق، وهو تلميذ الحارث المحاسبى، يقول: (التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك

به) وقد سئل عن قوم من أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال: (.. إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندى عظيمة، والذى يسرق ويزنى أحسن حالاً من الذي يقول هذا) .

٨. **أبو الفتوح شهاب الدين السهرودى** (٥٤٩-٥٨٧هـ) ولد بسهرود بإيران، تنقل كثيراً، صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر. وقد حوكم وقتل بفتوى من علماء حلب بسوريا، من كتبه (حكمة الإشراق) و(هياكل النور) و(التلويحات العرشية) و(المقامات).

٩. **أبو حامد الغزالى الملقب بحجّة الإسلام** (٤٥٠-٥٠٥هـ) ولد بطوس من إقليم خراسان، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، دَرّس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس ومنها إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه، وقد ألف عدداً من الكتب منها (تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال) وأهمها (إحياء علوم الدين) ويعد الغزالى رئيس مدرسة الكشف في المعرفة، ومن جليل أعماله هدمه للفلسفة اليونانية وكشفه لفضائح الباطنية.

١٠. **محى الدين بن عربى الملقب بلقب الشيخ الأكبر** (٥٦٠-٦٣٨هـ) رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعتبر نفسه خاتم الأولياء، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها إلى الآن قبر يزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يصل بعضهم بها إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة ما يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف آغا بقونية ومكتبات تركية أخرى، وأشهر كتبه (روح القدس)

و(ترجمان الأشواق) وأبرزها (الفتوحات المكية) و (فصوص الحكم) .

١١. **أبو الحسن الشاذلى** (٥٩٣-٦٥٦هـ) وهو صاحب الطريقة الشاذلية، من أقواله (إننا لننظر إلى الله ببصائر الإيمان والإتقان، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان)

١٢. **الأقطاب الأربعة**: عبد القادر الجيلانى، وأحمد الرفاعى، وأحمد البدوى، وإبراهيم الدسوقى.

١٣. منهم الفيلسوف الفرنسى رينيه جينو الذي أسلم وتصوف في أوربا وسمى نفسه (عبد الواحد يحيى) وقد دافع عن **الروحانية الإسلامية** مبيناً سمو التصوف الإسلامى من كتبه (أزمة العالم الحديث) و(رمزية الصليب) و(الشرق والغرب).

١٤. الشيخ الأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود – شيخ الأزهر الشريف – رحمه الله تعالى – .

١٥. فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى ، إمام الدعاة – رحمه الله تعالى – .

١٦. فضيلة الشيخ صالح الجعفري – رحمه الله تعالى – .

خامساً : طرق الصوفية :

- **القادرية**: تنسب إلى عبد القادر الجيلانى (٤٧٠-٥٦١هـ) المدفون في بغداد حيث تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرك به، اطلع على كثير من علوم عصره، وقد نسب أتباعه إليه كثير من الكرامات، رزق بتسعة وأربعين ولداً حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامى.

- **الرفاعية**: تنسب إلى أحمد الرفاعى (ت٥٨٠هـ) من بنى رفاعة قبيلة من العرب، وجماعته يستخدمون السيوف والحراب في إثبات الكرامات، كان زاهداً كثير الرياضة النفسية، انتشرت طريقته في غرب آسيا.

- **الأحمدية**: وتنسب إلى أحمد البدوى أكبر أولياء مصر (٥٩٦-٦٣٤هـ) ولد

بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، امتاز بالفروسية، عكف على العبادة وامتنع عن الزواج، وأتباعه منتشرون في جميع أنحاء مصر ولهم فيها فروع كالبيومية والشناوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء.

• **الدسوقية**: تنسب إلى إبراهيم الدسوقى (٦٣٣-٦٧٦هـ) وطريقته تدعو إلى الخروج عن النفس وحظوظها، رأس مالهم المحبة لجميع الخلق والتسليم والسكون تحت مراد الشيخ وأمره، إنها تدعو إلى العلم والعمل به مع عدم استحباب الخلوة إلا إذا كانت بأمر من الشيخ.

• **الأكبرية** : نسبة إلى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، وتقوم طريقته على الصمت والعزلة، والجوع والسهر، ولها ثلاث صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

• **الشاذلية** : نسبة إلى أبى الحسن الشاذلى (٥٩٣-٦٥٦هـ) ولد بقرية قرب مرسية وانتقل إلى تونس وحج عدة مرات ثم دخل العراق ومات أخيراً في صحراء عيذاب في طريقة إلى الحج ، قيل عنه «إنه سهَّل الطريقة على الخليقة» لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها فهى تقوم على كثرة العلم والذكر وليس فيها كثير مجاهدة، انتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب، وأهل مدينة (مخا) يدينون له بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايته، وانتشرت طريقته كذلك في مراكش وغرب الجزائر وفى شمال أفريقيا وغربها بعامة.

• **البكداشية**: كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة وهى ما تزال منتشرة في ألبانيا كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعى منها إلى التصوف السنى وقد كان لهذه الطريقة دور بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم.

• **المولوية**: أنشأة الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت٦٧٢هـ) والمدفون بقونية، يتميزون بإدخال الإيقاعات في حلقات الذكر وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفى حلب وفى بعض أقطار المشرق.

• **النقشبندية**: تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخارى الملقب بشاه نقشبند (٦١٨-٧٩١هـ) وهى طريقة سهلة كالشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

• **الملامتية**: مؤسسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار المعروف بالقصار (ت٢٧١هـ) أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً بمظهر الإباحية والاستهتار وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهى الشرعية.

الخلاصة :

• إن المجاهدات الصوفية إنما ترجع إلى زمن سحيق في القدم من وقت أن شعر الإنسان بحاجة إلى رياضة نفسه ومغالبة أهوائه.

• لا شك أن ما يدعو إليه الصوفيون من الزهد ، والورع والتوبة والرضا .. إنما هى أمور من الإسلام ، وأن الإسلام يحث على التمسك بها والعمل من أجلها.

مواطن الإنتشار فى العالم :

• لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن التي لم تفتحها الجيوش وذلك بما لديهم من تأثير روحى مثل اندونيسيا ومعظم إفريقيا وغيرها من الأقطار النائية.

• لقد اعتمد الحكام على أقطاب الصوفية في التعبئة الروحية للجهاد ولصد

غارات الكفار ومن هؤلاء الأقطاب أحمد البدوى وإبراهيم الدسوقى والشاذلى.

- انتشر التصوف على مدار الزمان وشمل معظم العالم الإسلامى وقد نشأت فرقهم وتوسعت في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا، وفى غرب ووسط وشرق آسيا.

- لقد تركوا أثراً مهماً في الشعر والنثر والموسيقا وفنون الغناء والإنشاد، وكانت لهم آثار في إنشاء الزوايا والتكايا والملاجئ والمستشفيات والمرابط.

- لقد كان للروحانية أثر في جذب الغربيين الماديين إلى الإسلام، ومن أولئك (مارتن لنجز الذي يقول: إننى أوروبى وقد وجدت خلاص روحى ونجاتها في التصوف).

مراجع للتوسع :

١. التصوف الإسلامي: أحمد توفيق عياد - الانجلو المصرية - ١٩٧٠ م.

٢. المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالى، مع أبحاث في التصوف : د.عبد الحليم محمود - مطبعة حسان - القاهرة.

٣. الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا: د. حسن عيسى عبد الظاهر - مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود - ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

٤. نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها: د. عرفان عبد الحميد فتاح - المكتب الإسلامى - بيروت - ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥. فى التصوف الإسلامى وتاريخه: أبو العلا عفيفى.

٦. الصوفية الإسلامية: نيكلسون ـ ترجمة شريبة.

٧. إحياء علوم الدين: للإمام الغزالى ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٥٧م.

٨. الفتوحات المكية) :للشيخ الأكبر محى الدين محمد بن عربى) - بيروت - دار صادر - بلا تاريخ.

٩. كتاب الطواسين (للحلاج): نشرة لويس ماسنيون - باريس ١٩١٣م.

١٠. أخبار الحلاج :نشرة لويس ماسنيون - باريس ١٩٣٦م.

١١. ديوان الحلاج: نشرة لويس ماسنيون - باريس ١٩٣١ م .

١٢. كتاب اللمع: لأبى نصر السراج الطوسى تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور- دار الكتب الحديثة - مصر ١٩٦٠م.

١٣. الرسالة القشيرية: لأبى القاسم عبد الكريم بن هوزان - مكتبة محمد على صبيح - القاهرة ١٩٥٧م.

١٤. فى التصوف الإسلامى وتاريخه : أرنولد رينولدز نيكلسون - مجموع مقالات ترجمها الدكتور أبو العلا عفيفى - القاهرة ١٩٤٧م.[1]

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة - بتصرف - .

التصوف الحق وسائل ومقاصد

الحمد لله الرحيم والرحمن ، أمر بالإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [1] والصلاة والسلام على خير مبعوث بالإحسان لخير أمة أخرجت للأنام سيدنا محمد القائل : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » [2] ، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه وولاه.

وبعد

فالتصوف الحق منهاج وجدانى يجمع بين الشريعة والحقيقة ، فالإيمان الركن القلبى « عبودية » والإسلام « الشريعة » : « عبادة » والإحسان الركن السلوكى : «عابدة » [3] ، يجمع بين عبادات القلب والحواس والجوارح الظاهرة والباطنة ، فيصدق عليه : اسم لما يحبه الله – عز وجل – ويرضاه من الأقوال والأفعال ، والتصوف وفق ما سلف وما يناظره وما يشابهه منهج تربوى ، ليس فرقة ولا جماعة، بل « طريقة عامة جامعة » ، « وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » [4] ، « مجاهدة ومكاشفة » ، تربية لأمير وسلطان البدن « ألا إنّ فى القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»، « إن الله – تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أشكالكم ولا إلى أحسابكم

(١) جزء آية ٩٠ من سورة النحل .

(٢) جزء حديث مشهور رواه سيدنا – عمر – رضي الله عنه – رواه .

(٣) التحفة فى التصوف لسيدنا ابن عطاء الله السكندرى .

(٤) الآية ١٦ من سورة الجن .

إنما ينظر إلى قلوبكم »[1]، وهو الفرار بالكلية قلباً وعقلاً وجسداً إلى الله – عز وجل – ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]، وهو هجرة روحية إليه – سبحانه وتعالى – «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[3] .

ومن جيد ما يستشهد به « إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة ، أو محو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والإقبال بكنه الهمة على الله – عز وجل – ومتى حصل ذلك كان الله – تعالى – هو المتولى لقلب عبده ، المتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله – سبحانه – أمر القلب فاضت عليه الرحمة ، وأشرق النور فى القلب ، وانشرح الصدر ، وانكشف سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة ، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية ، فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة ، وإحضار الهمة ، مع الإرادة الصادقة ، والتعطش التام ، والترصد بدوام الانتظار ، لما يفتحه الله – سبحانه وتعالى من الرحمة[4] .

إن التزكية هى الشريعة والوسيلة ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[5] ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[6] ، وكما قال أهل السبيل : الشريعة جاءت بتكليف الحق ، والحقيقة جاءت بتعريف الحق ، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده ، والحقيقة أن تشهده ، قال الله – عز وجل – ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[7] ، وقال – جل شأنه ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[8] والشريعة قيام بما

(١) حديث رواه أصحاب السنن .
(٢) جزء آية ٥٠ من سورة الذاريات .
(٣) جزء حديث صحيح رواه أصحاب السنن .
(٤) المنقذ من الضلال للإمام أبى حامد الغزالى .
(٥) جزء من آية ٢ من سورة الجمعة .
(٦) آية ٩ من سورة الشمس .
(٧) آية ٥ من سورة الفاتحة .
(٨) جزء آية ٧٩ من سورة آل عمران .

أمر به وبصّر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدّر ، فشريعة بلا حقيقة : عاطلة ! ، وحقيقة بلا شريعة : باطلة ، فالشريعة والحقيقة شئ واحد [1]

إن هذا منهج القويم يحرر الإنسان من عبودية غير الله – تعالى – يحرر الإنسان من اسر نفسه وهواها ، وشهواتها ، يحرر الإنسان من ماديات وبهيمية الجسد ، يحرر الإنسان من شرك الشيطان وحزبه ! .

وهذا المنهج مقيد بالكتاب العزيز الذى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [2] وبالسنة النبوية الصحيحة ، فكل تصرف قولى أو فعلى خالفهما فتصرف باطل مردود على صاحبه .

ينبغى للسالك أن يميز بين « الطيب والخبيث » ، بين « الأصيل والدخيل » بين النفيس والخسيس » .

فإذا ميز وجاهد وطبق وحقق ﴿ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

ولا يشغب على المنهج تصرفات أدعياء ومزاعم دخلاء وسلوكيات جهلاء ، وقدح أغبياء ، فقدر المنهج الحق أن يحابه بشياطين الإنس والجن ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [4] ، ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [5]

التصوف الحق منهاج صدق لغاية ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ

(١) الخطاب للشيخ محمد زكى إبراهيم – بتصرف – .
(٢) الآية ٤٢ من سورة فصلت .
(٣) الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ١١٢ من سورة الأنعام .
(٥) الآية ١٠٤ من سورة الأنعام .

مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [1] ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [2] .

فتعلم سيرة القوم بالتجرد طلباً للحق ولا يخدعنك المخادعين والمنكرين والمزايدين ، « فالركب – كما قال أمير المؤمنين سيدنا عمر – رضي الله عنه – كثير والحج قليل !! .

(١) الآيتان ٥٤ وما بعدها من سورة القمر .
(٢) الآية الأخيرة من سورة العنكبوت .

obeikan.com

المبحث الثاني

شطحات صوفية

بالاستقراء فى مدارس صوفية فإن بعضها لها أدبيات محل نقد من الفقهاء خاصة وهى :

وحدة الوجود : ينسب هذا إلى محى الدين بن عربى ومن تبعه **وقلّده خلاصتها:**

أن الله – تعالى – فى كل شىء ، وهو كل شىء ، وليس من شىء فى الكون على هذا إلا يستحق التقديس والإجلال ، فمما ينسب إليه : وقد يثبت عن المحققين أنه ما فى الوجود إلا الله ، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق ، فالوجود الحق وهو واحد ، فليس ثّم شىء هو له مثل لأنه لا يصح أن يكون ثّم وجودان مختلفان أو متماثلان أهـ !! .

الإتحاد والحلول : يسنب هذا إلى الحلاج ، فالتصور أن الله – تعالى – عن ذلك علواً كبيرا قد حلّ فيه ، وأنه قد اتحد هو بالله ، فمما نسب إليهم « أنا الحق » ، « ما فى الجبة إلا الله ، ينطقونها لحظات السكر بخمرة الشهود » !! .

ارتفاع التكاليف الشرعية : من يرى ذلك يعتقد ارتفاع التكاليف عن الولى لوصوله إلى مقام لا داعى لعبادات ، ولأنه لو اشتغل بوظائف الشرع وظواهره انقطع عن حفظ الباطن وتشوش عليه الالتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة الظاهر !! .

الفناء عن شهود ما سوى الرب وهو الفناء عن الإرادة.

الفناء عن وجود السوى : يعنى لا يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه ، لا به ، ولا بغيره ، وهو – تعالى – عين الموجودات وحقيقة الكائنات ، وأنه لا وجود لغيره ، لا قيام للأشياء إلا به ووجودها به .

من معتقدات البرهمية : حيث أكون متحداً مع براهما لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة.

مدرسة الإشراق الفلسفية للسهرودى ومفادها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها فى ثنائية وجود وبين الفلسفة اليونانية فى صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها فى الفيض أو الظهور المستمر .

نظرية « الإنسان الكامل » لمحى الدين بن عربى وخلاصتها : الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق فى وحدانية الله .

العلم الذاتى : لأهل النبوة والولاية وأصله لسيدنا الخضر – عليه السلام – «وعلّمناه من لدنا علما » .

الفناء : الاستهلاك فى الله – تعالى – بالكلية ، ويختفى العبد نهائياً عن الشعور بذاته ، ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله : ومما نسب للقائلين بهذا « من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً يقال : إنه فنى عن الخلق وبقى مع الحق » ، وأعلى درجات الفناء يسمونها « مقام جمع الجمع » وهو : « فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق » ، وفى مقام الفناء حالة تتراوح فيه تصورات السالك بين قطبين متعارضين هما : التنزيه والتجريد من جهة ، والحلول والتشبيه من جهة أخرى.

من أقوال بعضهم :

• الأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب ، وقلوبنا والهة يحب الله وواصلة إلى معرفة الله ، وإنما نخوض فى الدنيا بأيدينا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية ، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب .

تصرفات عملية منها :

• البعض يسلك طريق تحضير الأرواح .

• استخدام البعض للفظى (الغوث والغثاء) للأولياء

• القيام بما يعدّ خوارق وما يحسبونه « كرامات » .

• النذور لأصحاب الأضرحة ومراقد الصالحين - ﷺ - .

• فى ثقافة البعض مؤاخاة الرجال النساء الأجانب ويترتب عليه الخلوة والنظر إلى الزينة الباطنة .

• جهل معظم أشياخ الطرق الصوفية بالأحكام الشرعية العملية[1]

وما ذكر ليس عامًا ، ولا مطلقًا ، بل عند غلاة ، والسواد الأعظم من الصوفية على التزام ووعي – ولله المنة والفضل – .

(١) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها د . عرفان فتاح ، الفتوحات المكية لابن عربى ، فى التوصف الإسلامى وتاريخه أرنولد زينو لدز ينكلسون ترجمة د . ابو العلا عفيفى ، نشرات لويس سينون بباريس منها « كتاب الطواسين » للحلاج ، ديوان الحلاج ، أخبار الحلاج : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة مصطلح (الصوفية) بتصرف - .